بناء فكرك اللاهوتي

الدرس الرابع

"السلطة في اللاهوت"

هل لاحظت في وقت من الأوقات، كم من وقتٍ نمضيه للبحث عن السلطة واتّباعها؟ عندما يطرأ عطلٌ ما على سيارتنا، نبحث عن شخصٍ اختصاصي في ميكانيك السيارات. وعندما يصيبنا المرض، نفتش عن اختصاصي أمراض. في كل جوانب الحياة، من الحكمة أن نفتش عن السلطات ونصغي إليها بدقة.

إنَّ شيئاً من هذا القبيل ينطبق كذلك على اللاهوت المسيحي، فإذا كنَّا نتمتع بالحكمة، وجب علينا أن نصغي إلى السلطات اللاهوتية أيضاً. قد يبدو لنا للوهلة الأولى، أنَّ موضوع السلطة في اللاهوت المسيحي هو مسألة سهلة. لكن المسيحيين، وخلال سعيهم عبر القرون إلى من يرشدهم في القضايا اللاهوتية، وجدوا أنَّ عدداً من المسائل العملية الهامة جداً قد برزت أمامهم. أي نوع من السلطات اللاهوتية نحن بحاجة إليها؟ وأين نجدها؟

إنَّ هذا **الدرس الرابع** في سلسلتنا "**بناء فكرك اللاهوتي**" هو بعنوان "**السلطة في اللاهوت**"، لأننا سنتعرض فيه لبعض المواضيع المركزية، التي تتعلق بإطاعة السلطة، في الوقت الذي نبني فيه فكرنا اللاهوتي. سوف نركز اهتمامنا على طريقة تعامل المسيحيين مع هذه المسائل، في **ثلاث فترات مختلفة** في تاريخ الكنيسة. أولاً، **الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى.** ثانياً، سوف ندرس ما الذي عناه مفهوم السلطة اللاهوتية **للبروتستنتيين الأوائل.** وثالثاً، كيف يجب على **البروتستنتيين المعاصرين** أن يتعاطوا مع هذه المسائل. لنبدأ بالنظر إلى رأي **الكنيسة الكاثوليكية** في **العصور الوسطى** في موضوع السلطة في اللاهوت المسيحي.

كاثوليكية العصور الوسطى

إنَّ ما يعنينا بصورة رئيسية في هذه الدروس هو اللاهوت البروتستنتي، ولكن مَّما يساعد في أغلب الأحيان البدء في النظر إلى اللاهوت الكاثوليكي في العصور الوسطى كخلفية لوجهة النظر البروتستنتية.

بينما نستكشف **كنيسة العصور الوسطى،** سوف نتطرق إلى موضوعين، الأول، عقيدة العصور الوسطى حول **سلطة الكتاب المقدَّس،** وثانياً، **سلطة الكنسية.** دعوننا ننظر أولاً إلى **سلطة الكتاب المقدَّس** في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في العصور الوسطى.

الكتاب المقدَّس

قبل عصر الإصلاح، تعامل أفراد وأصحاب رتب كهنوتية داخل الكنيسة مع الأسفار المقدَّسة بطرق متفاوتة. لكن على الرغم من ذلك، فمن العدل أن نقول أنَّ الغالبية العظمى من لاهوتيي العصور الوسطى قد آمنوا بسلطة الكتاب المقدَّس، نظرياً على الأقل. ولكن في الممارسة، فقد استحال عليهم تقريباً التمسك بهذا الالتزام.

بينما نتحرّى هذه المسألة، سنتعرض لثلاث قضايا: أولاً، الرؤية المتطرفة لموضوع **وحي** الكتاب المقدَّس في حقبة العصور الوسطى. ثانياً، **معنى الأسفار المقدَّسة**. وثالثاً، **غموض** الكتاب المقدَّس. دعونا ننظر أولاً في وجهة نظر العصور الوسطى في **وحي** الكتاب المقدَّس.

الوحي

أكّد عدد كبير من اللاهوتيين الكاثوليك أنَّ **الكتاب المقدَّس** كله موحى به من الله، وأنه قد وصلنا عن طريق **وسائل بشرية**. لكن مع الأسف، شدَّد العديد من اللاهوتيين خلال هذه الفترة من تاريخ الكنيسة، على أصول الأسفار المقدَّسة إلى حدٍ أنهم أهملوا الأصول الإنسانية والتاريخية لهذه الأسفار.

إنَّ المغالاة في التشديد على الأصول الإلهية على حساب الأصول البشرية في العصور الوسطى، كان نتيجة أسباب عدّة. مثلاً، اعتمد لاهوتيو العصور الوسطى كثيراً على الفلسفات اليونانية، مثل الأفلاطونية الجديدة والأرسطوطاليسية اللتين كانتا تقدّران الحقائق الأبدية أكثر بكثير ممّا تقدّران الحقائق والوقائع الزمنية والتاريخية. وكنتيجة لذلك، تبنّى اللاهوتيون المسيحيون فكرة أنَّ الأصول السماوية للأسفار المقدَّسة كانت أكثر جوهرية من الأصول البشرية والتاريخية بكثير.

بالإضافة إلى ذلك، كان لاهوتيو العصور الوسطى غير مطّلعين على التاريخ القديم للكتاب المقدَّس، بحيث أنهم لم يستطيعوا الاستفادة كثيراً من الخلفيات التاريخية للكتاب المقدَّس. ولذلك شدّدوا على ما كانوا يعرفونه – وهو أنَّ الكتاب يحتوي على حقائق أبدية أعلنها إله السماء السرمدي.

المعنى

إنَّ تشديد كنيسة العصور الوسطى على الأصول الإلهية للكتاب المقدَّس، قاد إلى فهم مؤسف **لمعنى** الأسفار المقدَّسة. فلقد كان الاعتقاد السائد أنَّ **الكتاب المقدَّس** لا يوصل المعنى إلى القارئ كما توصله الكتب الأخرى. لكن لأن الله أوصى بهذه الأسفار، فإن الكتاب المقدَّس يفيض بالأحرى بالمعاني الكثيرة. تبع العديد من لاهوتيي العصور الوسطى أوغسطينوس في الاعتقاد أنَّ الأسفار المقدَّسة لها معاني عدّة. فلنصغِ إلى كيفية عرض **أوغسطينوس** لهذا الموضوع في كتابه الثالث "**في العقيدة المسيحية**".

"**عندما يكون هناك تفسيران أو أكثر لكلمات الكتاب المقدَّس، وعلى الرغم من عدم اكتشافنا للمعنى الذي يرمي إليه الكاتب، فليس ثمة خطر ... فأي تقدمة أكثر تحرراً ووفرة يمكن أن يهبها الله لنا فيما يتعلق بالأسفار المقدَّسة من أن يكون للكلمات نفسها عدة معاني؟** (267. صفحة 2. OCD 3.27, NPNF1 VOl)

يمكننا تقدير نظرة أوغسطينوس السامية للأسفار المقدَّسة من جهات عدة. فالكتاب المقدَّس ليس كتاباً عادياً. فإن أوجه عديدة من الكتاب المقدَّس يمكن تفسيرها فقط على ضوء الإشراف الإلهي الفائق للطبيعة على كتابتها.

لكنّ أوغسطينوس آمن أنَّ الوحي الإلهي جعل من بعض الفقرات من الكتاب المقدَّس تتحمل عدة معاني. آمن أوغسطينوس أنه ينبغي أن نركّز انتباهنا على المعاني العديدة التي قصدها الله. سوف ندعو نظرته والرؤية المتصلة به بال"**تعددية التكافؤية التقليدية**"، وهو الاعتقاد بأن لنصوص الكتاب المقدَّس عدة مستويات من المعاني أو القيم لأنها تأتي من الله.

لعل التعبير الأكثر شيوعاً للتكافؤية التقليدية كانت المقاربة التفسيرية التي قام بها جون كاسيان وعُرفت باسم **(العربة ذات الأربع خيول)**. تبعاً لهذه المقاربة، فإن النصوص الكتابية لها **أربعة معاني متميّزة:** أولاً، **المعنى الحرفي؛** وهو **المعنى البسيط للنص.** ثانياً، **المعنى الرمزي،** أي أنَّ النصوص مفسّرة على شكل **استعارات** أو صور رمزية للحقائق **العقائدية.** ثالثاً، المعنى **المجازي** أو **الأخلاقي:** وهو يقدّم توجيهات أخلاقية للسلوك المسيحي. ورابعاً، **المعنى الباطني** الذي يشير إلى طرق تفسير النصوص المتعلقة بإتمام الوعود الإلهية في **الأيام الأخيرة.**

قبل زمن الإصلاح، آمن العديد من اللاهوتيين الكاثوليك بأن معاني النصوص المقدَّسة كانت أبعد بكثير ممّا نسمّيه اليوم المعنى العادي أو المألوف. كان المعنى الحرفي أو البسيط للمقطع يعتبر غالباً بدائياً جداً بالنسبة للفكر اللاهوتي الجادّ. بدلاً من ذلك، كان اللاهوتيون يميلون إلى تقدير المعاني العميقة المخفية لأنها تعلن للكنيسة أعماق فكر الله.

الغموض

قاد موقف العصور الوسطى من الوحي وتفسير الأسفار المقدَّسة إلى التشديد على **غموض** الكتاب المقدَّس. فقد اعتبر الكتاب المقدَّس غير واضح، إلاَّ لأولئك الذين أُعطوا بصيرة خارقة ومميّزة.

يجب أن لا نتفاجئ أنَّ محتوى الكتاب المقدَّس كان يبدو غير واضح بالنسبة للمسيحي العادي قبل الإصلاح. فقد كانت الكتب المقدَّسة نادرة جداً بحيث يصعب على أي شخص الحصول عليها. بالإضافة إلى ذلك، كانت اللغة اللاتينية هي لغة الأسفار المقدَّسة واللاهوت. من هنا يمكننا القول أنَّ الكتاب المقدَّس كان كتاباً مغلقاً بالنسبة للمسيحي العادي في تلك الحقبة.

لكن الأسفار المقدَّسة، قد اعتبرت أيضاً غامضة، حتى بالنسبة للذين لديهم مقدرة وإمكانية قراءة الكتاب المقدَّس. فقد وضع الله مستويات عدّة من المعاني في الأسفار المقدَّسة كانت خافية على القارئ البسيط. تصوَّر شخصاً يريك صورة صندوق كنز مغلق، ويطلب منك أن تخبره ما نوع الكنوز الموجودة في الصندوق. سيكون من المستحيل بالطبع معرفة ما يوجد داخل الصندوق، لأن الكنوز ستكون مخبأة. وهذا ينطبق تماماً على الكتاب المقدَّس في كنيسة العصور الوسطى. وبحلول الإصلاح، جعل الاعتقاد بغموض الكتاب المقدَّس من المستحيل تقريباً أن يكون للكتاب المقدَّس سلطة حقيقية أو عملية على تطوّر اللاهوت.

اللاهوت الكنسي

مع الحفاظ على رؤية العصور الوسطى لسلطة الأسفار المقدَّسة في أذهاننا، نحن الآن على استعداد للانتقال إلى **سلطة اللاهوت** الكنسي في كنيسة العصور الوسطى.

لأن الكتاب المقدَّس كان يُعتبر غامضاً، لم يكنْ بإمكانه ممارسة دوره كسلطة حقيقية في اللاهوت. وبالتالي بدأت السلطة الكنسية أو الكهنوتية تلعب دوراً هاماً جداً في اللاهوت.

ولكي نفهم هذا الدور المميَّز للسلطة الكنسية، سوف ننظر في اتجاهين: أولاً، كيفية فَهم لاهوتيي العصور الوسطى **لسلطة** الكنيسة في **الماضي.** وثانياً، **السلطة الكنسية المعاصرة.** دعونا ننظر أولاً إلى **سلطة اللاهوت الكنسي في الماضي.**

الماضي

بحلول عصر الإصلاح، طوَّرت الكنيسة الكاثوليكية مقاربة معقّدة للسلطة الكنسية في الماضي. وأثناء القرون الوسطى، اعتُبرت تعاليم الكتاب المقدَّس غامضة بحيث كانت هناك حاجة إلى مصادر إرشاد أخرى. وقد نظر لاهوتيو القرون الوسطى إلى تاريخ اللاهوت الكنسي ليحدّدوا ما الذي يجب أن يؤمنوا به. وقد نظرت الغالبية العظمى منهم إلى تاريخ الكنيسة على أنه تاريخ الله وهو يقود ويرشد شعبه في سُبل الحق.

من جهة، كان هناك تركيز كبيرٌ على آباء الكنيسة الأوائل. إنَّ كتابات رجال مثل **يوليكاريوس، أغناطيوس، أيريناوس، ترتليانوس، ويوسينوس الشهيد،** وكتابات الآباء اللاحقين أمثال **أوغسطينوس، أثناسيوس وجيروم** قد أثَّرت بعمق على معتقدات جماعات كهنوتية مختلفة في الكنيسة.

إنَّ هؤلاء الآباء لم يكونوا يعتبرون عادةً معصومين من الخطأ، وعلى الرغم من أنَّ فروعاً مختلفة في الكنيسة كانت تميل إلى تفضيل تيارات مختلفة من تقاليد الآباء. فنادراً ما قام لاهوتيو العصور الوسطى بوضع تفسيرات لاهوتية دون نوعٍ من الاعتماد على آباء الكنيسة الأوّلين.

من جهةٍ أخرى، اعتمدت كنيسة العصور الوسطى اعتماداً كبيراً على مجامع الكنيسة المسكونية: مجمع نيقية، مجمع القسطنطينية، ومجمع خلقيدونية. ولأسباب عملية، اعتبر لاهوتيو العصور الوسطى أنَّ المجامع المسكونية تجمع بطريقةٍ لا خلاف عليها تعاليم الكتاب المقدَّس. والاختلاف مع هذه المجامع كان مساوي للاختلاف مع الأسفار المقدَّسة ومع المسيح.

وبمرور القرون، تطوّر الكثير من تعاليم الآباء والكثير من مقررات المجامع المسكونية ليغدوا عقيدة رسمية. وهذه العقيدة الكنسية لم تعتبر لاهوتاً بشرياً غير معصوم، ولكن لاهوتاً يحمل سلطةً مساويةً لسلطة الأسفار المقدَّسة نفسها. قبل عصر الإصلاح، كان السؤال الذي يتوقع أن يطرحه المسيحيون المؤمنون "ما الذي قالته الكنيسة؟" وليس "ما الذي يقوله الكتاب المقدَّس؟".

الحاضر

بقدر ما كانت **السلطات** الكنسية بالنسبة لكنيسة **العصور الوسطى** مهمة، فإن عقيدة الأسفار المقدَّسة في تلك الحقبة خلقت حاجة إلى سلطة لاهوتية عليا على مسرح الأحداث المعاصرة. فقد كان الكتاب المقدَّس نفسه غامضاً جداً ليتمكن من إرشاد الكنيسة في المسائل المعاصرة التي لم يتم البتّ فيها في الماضي. إذن، كيف كانت الكنيسة ستجد الإرشاد في القضايا الجدلية اللاهوتية المعاصرة؟ بكل بساطة، إنَّ من كانت لديهم السلطة لتسوية القضايا اللاهوتية المثيرة للجدل هم الكهنة، الأساقفة والبابا، الذي اعتبره الكثيرون رأس الكنيسة المعصوم من الخطأ. وعندما كانت الحاجة تدعو إلى اتخاذ قرار لاهوتي، لم يكنْ مطلوباً من المؤمنين أن يسألوا "ماذا يقول الكتاب المقدَّس؟" بل "ماذا تقول طبقة الكهنوت في الكنيسة؟"

منذ عدة عقود خلت، شاركت في خدمة كرازة في الشارع في دولة تقطنها غالبية كاثوليكية في شرق أوروبا. وحدث مرّةً أن قدّمت الكتاب المقدَّس لشابٍ صغير، ولكنه قال لي: "لا يمكنني أن أفهم الكتاب المقدَّس. على كاهني أن يخبرني ماذا يعني؟ "لا، بل يمكنك أن تفهمه بنفسك"، كان جوابي له وأنا أفتح الكتاب المقدَّس إلى يوحنا 16:3. فنظر إلى الآية وقال لي بكل صدق: "لقد قلت لك إنني لا اقدر أن أفهم ذلك، وحده كاهني يستطيع أن يشرحه لي."
على الرغم من أنَّ هذا الشاب عاش في عالم متمدن، فإن موقفه من الكتاب المقدَّس كان شبيهاً جداً بموقف معظم المسيحيين الغربيين في حقبة العصور الوسطى.

إن كانت الطريقة العملية الوحيدة لفهم إرادة الله هي من خلال السلطات الكنسية، فهذا يعني إنَّ التسلسل الهرمي الرسمي للسلطة، وليس للأسفار المقدَّسة، هو دليل اللاهوت المعاصر المنزَّه عن الخطأ.

البروتستانتية

باحتفاظنا بوجهات نظر العصور الوسطى هذه في أذهاننا، نحن الآن في وضعٍ يسمح لنا أن نقدِّر فهم **البروتستانت الأوائل** لسلطة الكتاب المقدَّس والسلطة الكنسية. من نواحٍ عدّة، كان جوهر هذا الجدال بين الكاثوليك والبروتستانت بالتحديد، مسألة السلطة.

سوف ننظر أولاً إلى الرؤية البروتستانتية **لسلطة الكتاب المقدَّس**، وثانياً إلى وجهة النظر البروتستانتية بالنسبة إلى **السلطة الكنسية**. دعونا ننظر اولاً على الرؤية البروتستانتية **لسلطة الكتاب المقدَّس**.

الكتاب المقدَّس

كما كنَّا قد رأينا، فإن وجهة النظر الكاثوليكية في العصور الوسطى بالنسبة للأسفار المقدَّسة كانت متطرفة من عدة جوانب مهمَّة. سوف نرى في هذا القسم كيف تجاوب البروتستانت الأوائل مع هذه الأخطاء، بتصحيحهم لعقائد **وحي** الكتاب المقدَّس، **ومعناه، ووضوحه**. لنتناول أولاً عقيدة **الوحي**.

الوحي

يجب أن نقول منذ البداية إنَّ البروتستانتيين فهموا، مثلهم مثل لاهوتيي العصور الوسطى، أنَّ الأسفار المقدَّسة لها مصدرين، واحد إلهي وآخر بشري. فمن ناحية، نظروا إلى الكتاب المقدَّس ككتاب إلهي فائق للطبيعة، وقد أخذوا بجديّة كلمات الرسول بولس في **2 تيموثاوس، 3 : 16** إنَّ: "**كلَّ الكتاب هو موحى به من الله ونافعٌ للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البرّ**." كما تعلَّم هذه الفقرة، فإن الأسفار المقدَّسة هي بشكل مطلق من الله، وهي مصمَّمة لكي تمدَّ شعب الله بإعلان مميَّزٍ وموثوقٍ.

آمن البروتستانتيون أنَّ يد الله حفظت الأسفار من الخطأ. فقد أعطى الله بصورة خارقة للطبيعة، كتبة الأسفار المقدَّسة، معلومات حول الحاضر والماضي والمستقبل. وأشرف على كتابتهم لتلك الأسفار، بحيث كان لها السلطة المطلقة التي لا خلاف فيها.

لكن المصلحين أيضاً اعترفوا بكتبة الأسفار المقدَّسة البشريين. فبدل أن يتعاملوا مع الكتاب المقدَّس كما لو أنه قد أُنزل من السماء، شدّد البروتستانتيون الأوائل على أنَّ الأسفار المقدَّسة وصلت إلينا بواسطة بشرية ومن خلال سلسلة من الوقائع والعمليات التاريخية.

هذا الاهتمام بالمساهمة البشرية في الكتابة ينسجم جيداً، وفي أحوالٍ كثيرة مع مقاربة يسوع وكتبة الأسفار للكتاب المقدَّس نفسه. مثلاً، نقرأ في **متى، 22 : 41 –44** ما يلي:

"**وفيما كان الفريسيّون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً ماذا تظنون في المسيح. ابن مَن هو. قالوا له ابن داود. قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً: قال الرب لربّي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.**"

في هذه الفقرة، استخدم يسوع مزمور 110 والعدد1 ليربك الفرّيسيين عن طريق جذب الانتباه بوضوحٍ إلى داود، الكاتب البشري لهذه الفقرة. لاحظ أنَّ حجة يسوع تعتمد على كون معنى الكتاب المقدَّس يعتمد جزئياً على تفاصيل في حياة كتبته البشريين. وأمثلة كهذه تفيض من كتّاب وشخصيات الأسفار المقدَّسة، تشير إلى موسى، أشعياء، أرميا، داود، بولس، ووسائل بشرية أخرى لنقل كلمة الله. وهذه الوسائل البشرية ساهمت بصورة هامة وشخصية في الأسفار المقدَّسة.

من هذه الأمثلة وغيرها، استنتج البروتستانتيون بحق، أنَّ الأسفار المقدَّسة ظهرت إلى الوجود نتيجة أوضاعٍ بشرية حقيقية، وفي ظروفٍ تاريخية محدّدة. ولكي يفهم المسيحيون الأسفار المقدَّسة بصورة صحيحة، عليهم لا أن يشدّدوا على المصادر الإلهية للأسفار المقدَّسة فحسب، بل على مصادرها البشرية التاريخية أيضاً.

المعنى

التركيز على أهمية الناحية البشرية في وحي الكتاب المقدَّس، أثّرَ بصورة كبيرة على كيفية فهم البروتستانتيين **لمعنى** الكتاب المقدَّس.

وبدلاً عن البحث عن المعاني الإلهية المخفيّة في الكتاب المقدَّس، سعى البروتستانتيون إلى تأسيس كل تفاسيرهم على المعنى الحرفي للأسفار المقدَّسة، أي المعنى الذي قصد الكتّاب البشريون إيصاله إلى قرَّائهم الأصليين.

يجب أن ننتبه الآن إلى أنَّ البروتستانتيين الأوائل لم يتخلُّوا تماماً عن مقاربة لاهوتيي العصور الوسطى للأسفار المقدَّسة. فقد كانت تظهر أحياناً آثار التعدّد النسبي التقليدي في كتابات المصلحين كذلك. ولكن من الإنصاف القول أنَّ المصلحين شدّدوا وبشكلٍ مستمر على المعنى الأصلي المقصود للكتبة البشريين أكثر بكثير ممّا فعله نظراؤهم الكاثوليك. لأن هذا التركيز التاريخي كان بالنسبة للبروتستانتيين أساسياً ومركزياً للتفسير.

ولكي نفهم تشديد حركة البروتستانت في بداية عهدها على المعنى الحرفي البسيط لنصوص الكتاب المقدَّس، فإنه مّما يساعدنا أن نتذكر أنَّ هذا النمط التفسيري قد نشأ في أوروبا الغربية في عهد النهضة في القرن الخامس عشر. فالنهضة أو "الولادة الجديدة" اشتقّت اسمها من الاهتمام المتجدد بالأدب والثقافة اليونانية والإغريقية القديمة والذي ظهر

في أوروبا الغربية وسبق عصر الإصلاح. كان معظم الدارسين العلماء، قبل عصر النهضة، يعرفون الكتابات اليونانية القديمة عن طريق الترجمة فقط، وكانت تفاسيرهم بمعظمها تتم تحت إشراف الكنيسة. ففي أوقاتٍ مختلفة، قامت الكنيسة عملياً بتعميد أفلاطون وأرسطو، والعديد من الكتّاب اليونانيين، حيث أنهم أعتُبروا كداعمين للعقيدة المسيحية. ولكن خلال عصر النهضة، وجد كثيرٌ من الدارسين العلماء مَن يدعم رغبتهم في فهم النصوص القديمة بعيداً عن الإشراف الكنسي. ولذا، بدأوا بتفسير تلك الكتابات على النحو الذي قصد كتّابها أن تُفهم.

الآن، في عصر النهضة، نُشِرت نُسخٌ جديدة للكتاب المقدَّس باللغة العبرية واليونانية، مّما أدّى إلى تحوّل هام في تفسير الأسفار المقدَّسة أيضاً. وقد بدأ العديد من علماء الكتاب المقدَّس، متمثلين بمبادئ عصر النهضة، لا سيّما البروتستانتيين منهم، بقراءة الأسفار المقدَّسة بعيداً عن تحكّم الكنيسة، وسعوا إلى وضع تفاسيرهم للأسفار المقدَّسة في نطاق معناها التاريخي الأصلي.

والتوجّه البروتستانتي نحو المعنى الأصلي أو المعنى الحرفي كأساسٍ لكل تفسير، قاد البروتستانتيين إلى التحدث عن معنى واحد موحّد ومتماسك لكل فقرة من الكتاب المقدَّس. وكما يقول أقرار **الإيمان الويستمينستري الفصل 1 والقسم 9.** "**إنَّ المعنى الحقيقي والكامل لكل فقرة في الكتاب المقدَّس... ليس متعدداً بل هو واحد.**" يمكننا تسمية وجهة النظر هذه: نظرة "**أحادية التكافؤ**" للمعنى.

أدرك البروتستانتيون بالطبع أنَّ لمقاطع الكتاب المقدَّس عدة معاني ضمنية وارتباطات بالحقائق المسيحية تتجاوز ما قد يكون في مقدور الكتّاب البشريين أن يفهموه في زمانهم. ولكن جميع هذه الأبعاد هي جزء من المعنى الوحيد، الحقيقي والكامل، لأنها تتناسق مع المعنى الحرفي أو البسيط للأسفار المقدسة.

الوضوح

بالإضافة إلى التشديد على الجانب الإنساني للوحي وعلى أهمية المعنى الحرفي الموحِّد للأسفار المقدَّسة، أكَّد البروتستانت أيضاً على **وضوح** أو سهولة فهم الأسفار المقدَّسة. وقد دافع البروتستانتيون بسهولة فهم الكتاب المقدَّس.

ساهم عددٌ من العوامل إلى حدٍّ كبير في دعم عقيدة وضوح الكتاب المقدَّس البروتستانتية. في المقام الأول، عمل الاستخدام الواسع للمطبعة المتنقلة، أكثر وأكثر على تيسير الحصول على الكتب المقدَّسة، ممّا أتاح بدوره للمسيحيين أن يقرأوا الكتاب المقدَّس بأنفسهم وتقدير ما إذا كانت الأسفار غامضة. في المقام الثاني، بدأ روّاد جريئون بترجمة الأسفار المقدَّسة إلى لغَّة العامَّة، وهذا أيضاً مكَّن الناس من التحقّق من وضوح الكتاب المقدَّس بأنفسهم. في المقام الثالث، إنَّ تركيز دعاة الإصلاح على المعنى الحرفي، مكَّن اللاهوتيين من أن يستندوا في تفسيراتهم على ما يمكن التحقق منه واختباره. إنَّ تفحُّص الأسفار المقدَّسة على هذا النحو، أدَّى إلى الانتشار الواسع لحقيقة أنَّ الكتاب

المقدَّس، وعلى النقيض من وجهة النظر الكاثوليكية، كان واضحاً جداً. حتى **إراسموس**، الكاثوليكي المخلص، الذي عارض لوثر والإصلاح، كتب أنَّ "**بإمكان الفلاَّح أن يفهم الأسفار المقدَّسة.**"

فتحت هذه التطورات الطريق أمام البروتستانت، لتأكيد وضوح الكتاب المقدَّس، ولإعادة تنصيب الكتاب المقدَّس باعتباره السلطة العملية للمسيحية. وإذ قرأ البروتستانت الكتاب المقدَّس من جديد، وفي هذا المحيط الجديد، تبيَّن لهم بوضوح، أنَّ العديد من الفقرات الحاسمة التي أعلنت الكنيسة الكاثوليكية أنها غامضة، كانت في الواقع سهلة الفهم نسبياً.

الآن، أثناء **العقود الأولى** من حركة الإصلاح، كان البروتستانتيون **متفائلين** إلى أقصى درجة بشأن وضوح الكتاب المقدَّس، فقد بدا الأمر مسألة بسيطة. ولكن مع تعمّق الحركة البروتستانتية في الأسفار المقدَّسة، أصبح البروتستانتيون أكثر **واقعية** فيما يتعلَّق بها وتكلموا عن **درجاتٍ من الوضوح** في الكتاب المقدَّس. فقد بدأ الأمر يصبح واضحاً أنَّ معنى بعض أقسام الكتاب المقدَّس كانت أوضح من الأخرى. فأفسحت الرؤية المفرطة في التفاؤل حول وضوح فهم الأسفار المقدَّسة، المجال أمام وجهات نظر أكثر تحديداً.

في الواقع، يجب ألاَّ تفاجئنا هذه النظرة البروتستانتية الأكثر نضوجاً. حتى الرسول بطرس أقرَّ بأن بعض الأمور في الأسفار المقدَّسة عسرة الفهم عندما كتب هذه العبارات في **2 بطرس 3 :16:**

"**كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور. التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرِّفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم.**"

لم يقلْ بطرس أنَّ كتابات بولس كانت سهلة الفهم؛ ولم يقلْ أنها جميعها صعبة الفهم. إنَّ ما قاله بالأحرى، هو أنَّ بعض الأمور في كتابات بولس عسرة الفهم.

لذا، بالمقارنة مع كنيسة العصور الوسطى، رفع البروتستانت من مقام الكتاب المقدَّس وجعلوه فوق سلطة الكنيسة. وأكّدوا على وضوح الكتاب المقدَّس، وكنتيجةٍ لذلك، أحتلَّت الأسفار المقدَّسة مقامها السابق كسلطة مطلقة فوق السلطة الكنسية.

السلطة الكنسية

بما أننا تفحّصنا الرؤية البروتستانتية الأولى للأسفار المقدَّسة، بات بأمكاننا أن نرى الآن كيف نظر البروتستانت الأوائل أيضاً إلى **السلطة الكنسية.**

كما قد رأينا، أعاد البروتستانتيين تنصيب الكتاب المقدَّس كقاعدة مطلقة للاّهوت، غير قابلة للجدل. ومع ذلك، يجب أن ننتبه أيضاً إلى حقيقة، أنَّ البروتستانتيين الأوائل لم يرفضوا تماماً سلطة اللاهوت الكنسي. بل على العكس، آمن البروتستانتيون بأن اللاهوت الكنسي يمتلك سلطة كبيرة، لكن هذه السلطة تخضع لتعاليم الأسفار المقدَّسة.

إنَّ ما يساعد على استكشاف النظرة البروتستانتية للاهوت الكنسي هو النظر في اتجاهين: أولاً، كيف فهم البروتستانت الأوائل **سلطة** اللاهوت الكنسي من **الماضي**؛ وثانياً: كيف فهموا **سلطة اللاهوت الكنسي المعاصر**؟ اعتبر أولاً نظرة البروتستانت الأوائل على **السلطات اللاهوتية من الماضي**.

الماضي

كما رأينا، أصرَّ البروتستانت الأوائل على أنَّ أسفار العهد القديم والجديد هي السلطة الوحيدة المعصومة للكنيسة. ومع ذلك، وعلى الرغم من صعوبة تصوّرنا لذلك، فقد اعترف البروتستانت الأوائل بسلطة الكثير من تعاليم آباء الكنيسة، وقوانين إيمان الكنيسة الأولى أيضاً. لقد اعتقدوا بشدة أنَّ الروح القدس قد قاد الكنيسة الأولى إلى العديد من الحقائق الهامّة التي كان على المسيحيين في ذلك الزمن أن يؤمنوا بها.

كما رأينا في درسٍ سابق، تكلم البروتستانتيون عن سلطة الكتاب المقدَّس تحت عنوان "**الكتاب المقدَّس وحدهُ.**" ... للأسف، يسيء العديد من الإنجيليين اليوم بشكل خطير فهم سلطة اللاهوت الكنسي في الماضي في أوائل الإيمان البروتستانتي، وذلك بسبب فهمهم الخاطئ لعقيدة "الكتاب المقدَّس فقط."

وفي أيامنا هذه، يؤمن العديد من الإنجيليين خطأً، أنَّ عقيدة "الكتاب المقدَّس فقط"، تعني ضمناً أنه ينبغي ألاَّ يكون لدينا سلطةً إلاَّ سلطة الكتاب المقدَّس وحده. لكن هذا ليس موقف حركة الإصلاح، وليس مفهوماً حقيقياً لعقيدة "الكتاب المقدَّس فقط". ولا يعني تشديد البروتستانتيين على عقيدة "**الكتاب المقدَّس فقط**" **أنَّ الكتاب المقدَّس كان السلطة الوحيدة للمؤمنين**؛ بل بالأحرى، لقد عنى أنَّ الكتاب المقدَّس كان **السلطة** الوحيدة **التي لا نزاع عليها للمؤمنين**.

ولأجل الملائمة، فإنه ممّا يساعدنا أن نشير إلى خلاصة هذه الاعتبارات في إقرار **الإيمان الويستمنستري الفصل 1، القسم 10:**

> "**الحاكم الأعلى، الذي يحكم في كل الخلافات الدينية، ويفحص كل قرارات المجالس، وآراء الكتّاب القدامى، وعقائد الناس الدينية وأحاسيسهم الداخلية، والذي نرتاح لحكمه، لا يمكن أن يكون إلاَّ الروح القدس متكلماً من خلال الكتاب المقدَّس**".

تؤكد هذه الفقرة بشدَّة أنَّ الروح القدس الذي يتكلم من خلال الأسفار المقدَّسة هو "الحاكم الأعلى الذي يحسم كل النزاعات الدينية". ولكن لاحظ اللغة المستخدمة هنا. الروح القدس، المتكلِّم في الكتاب المقدَّس، هو "**الحاكم الأعلى**". إن كان ثمة ما يدعى بالحاكم الأعلى، فهذا يعني أنَّ هناك حكَّاماً آخرين أقل منزلة. يشير "أقرار الإيمان" في الواقع إلى عددٍ من هذه السلطات الأخرى في هذا المقطع. فهو يذكر، فيما يبدو أنه يتبع ترتيباً بحسب الأهمية، **المجامع**، و**الكتَّاب القدامى** (أو آباء الكنيسة)؛ **عقائد الرجال**، وهي تشير بذلك إلى تعاليم الآخرين في الكنيسة، في الماضي والحاضر؛ **والأرواح الخاصّة**، أي الإحساس الداخلي أو القناعة الداخلية فيما يتعلق بمعنى المقاطع الكتابية.

غالباً ما يتَّهم اللاهوتيون الكاثوليك برفض اللاهوت الكنسي القديم، لكن البروتستانتيين لم يرفضوه. في المقام الأول، غالباً ما دعم البروتستانت الأوائل آراءهم بالإشارة إلى آباء الكنيسة الأوائل. خضع كتاب كالفن "خلاصة المبادئ" إلى أكثر من عشرين تنقيحاً، وكان كالفن يضيف في كل مرة اقتباسات جديدة من آباء الكنيسة الأوائل.

من ناحية أخرى، يكشف أيضاً أحد المقاطع في كتاب "خلاصة المبادئ" بوضوح وجهة نظر البروتستانت الأوائل من سلطة المجامع الكنسية كذلك. فلنستمع إلى ما يقوله **كالفن** في **الجزء الرابع من** "**خلاصة المبادئ**".

أنا لا أجادل هنا أنَّ كل المجامع يجب أن تُدان أو أنَّ كل المقررات يجب أن تلغى و (كما يُقال) أن تُشطب بجرّة قلم. "لكن" قد تقول، "لقد قلّلت من قيمة كل شيء بحيث يكون لكل شخصٍ الحق في قبول أو رفض مقررات المجامع." كلا على الإطلاق! ولكنني أود لو أنَّ الرجال يجتهدون بادئ ذي بدء وأمام كل قرار، أن يمعنوا التفكير في أي زمن عقد ذلك المجمع، وما كان الموضوع الذي طُرح فيه، وما كان الغرض من انعقاده، وأي نوع من الرجال كان حاضراً، ثم يجب أن يتفحصوا بمقاييس الأسفار المقدَّسة كيف تعاملوا مع المواضيع المطروحة–والقيام بهذا بحيث يكون لمقررات المجمع وزنها وتكون بمثابة حكم مؤقت. لكن دون إعاقة التدقيق الذي ذكرته. (كالفن، "خلاصة المبادئ 4, 9, 8)

تبرز عدّة أفكار مهمة في كلمات كالفن هنا: أولاً، إصراره على ضرورة **فهم** مجامع الكنيسة **تاريخياً**. فهي ليست غير محددة بزمن، وليست إعلاناً مباشراً من الله نفسه. فالطريقة التفسيرية لعصر النهضة في التركيز على المعنى التاريخي الحرفي، ينبغي أن تطبّق على المجامع الكنسية. ويجب على المؤمنين "**أن يبحثوا في أي زمن عقد المجمع، والغرض من انعقاده، وأي نوعٍ من الرجال كان حاضراً.**"

ثانياً، ليس غريباً أن نرى أنَّ عقيدة "**الكتاب المقدَّس فقط**" قادت كالفن إلى الإصرار على أنَّ تعاليم الكنيسة يجب أن تقيَّم أخيراً على ضوء الأسفار المقدَّسة. وكما ذكر هنا، فإن "**معيار الكتاب المقدَّس**" يجب أن يطبَّق.

ولكن ثالثاً، والأهم لهدفنا هنا، ادَّعى كالفن أنَّ عقائد الماضي ينبغي أن تُقبل "**كأحكام مؤقتة**". أي ما معناه، أنَّ الأحكام الكنسية القديمة يجب أن تُقبل بصفتها أحكامنا الموقتة والتمهيدية. ويجب أن نقبل تعليمها إلى أن يرجح لنا أنَّ التفسير المتأني للكتاب المقدَّس يبرهن عدم صحتها.

فهمت الغالبية العظمى من البروتستانت ضرورة الاعتراف بالسلطة العليا للآباء الأوائل وبقوانين إيمان الكنيسة. وقد كانت مقاربتهم للاّهوت الكنسي القديم تقوم على أساس القبول المؤقت الذي يحكمه الالتزام بسمو الكتاب المقدَّس.

الحاضر

علينا الآن أن نلتفت إلى كيفية فهم البروتستانت **لسلطة اللاهوت الكنسي في عصرهم**. وأي نوعٍ من السلطة اعترفوا بها في أيامهم تلك؟

كما سوف تتذكر، طوّرت الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى نظاماً مُحكماً من السلطات اللاهوتية، كانت ذروتها البابا المعصوم عن الخطأ. لكن الإصلاح البروتستانتي رفضوا بشكل كبير بعض هذه المقاربة للاّهوت الكنسي. وحدها سلطة الكتاب المقدَّس كانت مقبولة ولا جدل فيها.

لكن في الوقت نفسه، من المهم أن ندرك أنَّ البروتستانت الأوائل احترموا إلى حدٍّ بعيد سلطة المعلمين المرسومين في الكنيسة. وقد استحقّ علماء اللاهوت أو معلمو الكنيسة التقدير الكبير لعملهم على تطوير لاهوت الإصلاح. وعلاوة على هذا، فقد أوجدت كل الطوائف البروتستانتية تقريباً نظام اعتراف، وتعليم قواعد الدين، وقوانين إيمان خاصَّة بها، اعتُبِرت كسلطة ثانية في الكنيسة.

كان لدى البروتستانت الأوائل احتراماً كبيراً لعلماء اللاهوت المعاصرين، لأنهم آمنوا أنَّ الأسفار المقدَّسة علَّمت أنَّ على أتباع المسيح أن يكرّموا السلطات التي وضعها الله في الكنيسة. مثلاً، تعليمات بولس لتيطس في **تيطس 2 : 1 و 15**. حيث نقرأ هذه الكلمات:

"**وأمَّا أنت فتكلَّم بما يليق بالتعليم الصحيح... تكلَّم بهذه وَعِظ ووبِّخ بكلِّ سلطانٍ. لا يستهن بكَ أحدٌ.**"

وقد أقرَّ البروتستانت الأوائل أنَّ العديد من المقاطع المماثلة تعلِّم أنَّ على أتباع المسيح أن يخضعوا قدر الإمكان لقادة الكنيسة المرسومين.

هذا التوازن بين السلطة الكنسية وسلطة الكتاب المقدَّس يمكن تلخيصه بشعارٍ قديم يتكرر غالباً في الكنائس المصلحة "الكنيسة المصلحة هي تُصلح دائماً"، أو كما يختصر غالباً بالعبارة اللاتينية **semper reformanda** "**الإصلاح**

دائماً"، أو كما أحب أن أعبّر عنه أحياناً " إنَّ التوصّل إلى صيغةٍ كاملة في اللاهوت البروتستانتي، ما هو إلاَّ فشلٌ في أن يُصلح بصورة كافية." تُشير هذه الشعارات إلى أنَّ الفرع البروتستانتي من الكنيسة أقرَّ إقراراً كاملاً بأن على السلطات الكنسية أن تخضع باستمرار لرقابة الكتاب المقدَّس.

البروتستانت المعاصرون

نستطيع النظر الآن في الموضوع الثالث في هذا الدرس. كيف ينبغي على **البروتستانت المعاصرين** أن ينظروا إلى هذه الأمور؟ ما الذي يجب أن نؤمن به بالنسبة إلى سلطة الأسفار المقدَّسة ولاهوت الكنيسة في يومنا هذا؟

سنجيب عن هذه الأسئلة، أولاً **بالتطرّق إلى نوع وجهات النظر التي يجب أن نتبناها بالنسبة للكتاب المقدَّس**، وثانياً، **باقتراح بعض وجهات النظر الهامَّة التي ينبغي أن نتبنّاها تجاه اللاهوت الكنسي** في يومنا هذا. دعونا نلفت انتباهنا أولاً إلى **عقيدة الكتاب المقدس**.

الكتاب المقدَّس

سنستكشف وجهات نظر معاصرة نحو الكتاب المقدَّس بالتطرق إلى القضايا الثلاث التي كانت مثار اهتمامنا في هذا الدرس: **وحي** الكتاب المقدَّس، **معنى** الكتاب المقدَّس، **ووضوح** الكتاب المقدَّس. سننظر في وجهات النظر هذه ونقيّم قيمتها، بدءاً من النظرة الحديثة **لوحي** الكتاب المقدَّس.

كل شخصٍ يدّعي اليوم ادّعاءً صادقاً أنه بروتستانتي سيعتنق اعتقاداً ما بأن الأسفار المقدَّسة موحى بها من الله. مَع ذلك، هناك الكثير من الارتباك حول كيفية صياغة عقيدة الوحي البروتستانتي في زماننا هذا.

هناك على الأقل ثلاث وجهات نظر بالنسبة للوحي، مقبولة وشائعة بين البروتستانت المعاصرين. عند أحد طرفي الطيف فكرة تدعى غالباً ***"الوحي الرومنسي"***، وعند الطرف الآخر هناك موقف متطرّف مماثل يدعى ***"الوحي الميكانيكي."*** وما بين طرفي هذين الموقفين وجهة نظر أُطلق عليها اسم ***"الوحي العضوي"***. دعونا نُلقي نظرة سريعة على النقاط الثلاث هذه.

يؤيد البروتستانتيون الأكثر تحرراً، وعلى نطاق واسع، الوحي الرومنسي. ومن وجهة النظر هذه، فإن الكتاب المقدَّس قد أوحى به بالمعنى (الرومنسي) للكلمة، بما يشبه كثيراً كلامنا عن كون شكسبير، رمبرانت، أو **باخ** "مُلهَمين". من هذا المنطلق، تكون الأسفار المقدَّسة مجرد أفكار بشرية ليس إلاَّ، وبناءً على ذلك، فهي غير معصومة من الخطأ، ولا تتمتّع بالسلطة المطلقة على الكنيسة. وغنيٌّ عن القول، إنَّ وجهة النظر هذه عن الوحي، يجب أن يرفضها أولئك الذين يريدون الاستمرار في روح حركة البروتستانت، حيث أنها تتخلى عن الالتزام البروتستنتي الرئيسي بسلطة الكتاب المقدَّس الموثوقة والنهائية.

وعند الطرف الآخر من الطيف، يوجد **الوحي الميكانيكي**، أو كما يُدعى أحياناً "الوحي بالإملاء." لدرجة ما أو لأخرى، تصرُّ وجهة النظر هذه على أنَّ دور كتّاب الكتاب المقدَّس كان سلبياً نسبياً عندما قاموا بكتابة الأسفار المقدَّسة. من وجهة النظر هذه، فإن الله بذاته، هو مَن قام بتأليف الكتاب المقدَّس من حيث الجوهر، بينما اقتصر عَمَلَ الكتبة البشريين كأمناءِ سرَّ مطيعين. إنَّ هذه النظرة لموضوع الوحي تقودنا بعيداً عن المبدأ الإصلاحي "الكتاب المقدَّس فقط" بإنكارها أهمية المفهوم التاريخي والمعنى الأصلي بالنسبة للكتبة البشريين. وكما كان البروتستانتيون يشيرون بدقة إلى أنَّ إنكار معيارية المعنى الأصلي للأسفار المقدَّسة، يشكل عائقاً أمام السلطة العملية لهذه الأسفار. نحن مركزين على قراءة أفكارنا الخاصة في الكتاب المقدَّس. وبالتالي، ينتفي دور الكتاب المقدَّس نفسه كسلطتنا العليا في اللاهوت.

يجب على اللاهوت البروتستانتي المعاصر أن يتجنّب تطرّف الوحي الرومنسي والميكانيكي على السواء، بتأكيده من جديد على الطبيعة **العضوية** التامة للوحي: دفع الله واضعي الكتاب المقدَّس للكتابة، وأشرف على ما كتبوه بحيث كان ما كتبوه معصوماً من الخطأ وموثوقاً وذو سلطة. ولكنه لم يتحايل على أفكارهم الشخصية، وعلى دوافعهم، ومشاعرهم، أو على لاهوتهم. إنَّ الأبعاد الإنسانية والإلهية للوحي لم تكنْ في خلاف. تشدِّد النظرة البروتستانتية للوحي العضوي للأسفار المقدَّسة على الطبيعة البشرية والإلهية، وعلى الطبيعة التاريخية والسامية لكل الكتاب المقدَّس. وبهذا يمكن الحفاظ على العقيدة البروتستانتية حول عصمة الأسفار المقدَّسة، دون إنكار حقّ الكنيسة في الوصول إلى تعاليمها.

بدون شكّ، من بين الاتجاهات الرئيسة الثلاث للتفكير البروتستانتي حول وحي الكتاب المقدَّس، سيجد أولئك الذين يتمنّون إنجاح حركة الإصلاح في يومنا هذا، أنَّ عقيدة الوحي العضوي تتّفق تماماً مع المبادئ التي قادت الحركة الإصلاحية والتي كانت وراء قيامها.

المعنى

بالإضافة إلى التشديد على الطبيعة العضوية للوحي، فإن على علماء لاهوت التقليد الإصلاحي في العصر الحديث أن يقيّموا بشكل صحيح طبيعة **معنى** الأسفار المقدَّسة. مرة ثانية، تمَّ اقتراح سلسلة متفاوتة من المواقف. عند أحد طرفي السلسلة المستمرة وجهة نظر يمكن تسميتها ***التعددية التكافؤية المعاصرة***"، وعند نهاية الطرف الآخر، وجهة نظر بإمكاننا أن **ندعوها** "***الأحادية التكافؤية المبسَّطة***"، وفي المنتصف وجهة نظر قد ندعوها ***الأحادية التكافؤية المتعددة الأوجه***." دعونا نتناول أولاً موضوع **التعددية التكافؤية المعاصرة**.

في العقود الأخيرة، تحدَّث العلماء اللاهوتيون البروتستانتيون عن التعددية التكافؤية لنصوص الكتاب المقدَّس، معتقدين أنَّ لنصوص الأسفار المقدَّسة معاني عديدة مختلفة. لكن بينما تؤكِّد التعددية التكافؤية التقليدية على تعدد المعاني في ضوء الأصل الإلهي للكتاب المقدَّس، تستند التعددية التكافؤية المعاصرة غالباً على غموض اللغة البشرية.

في الواقع، تُعلِّم التعددية التكافؤية المعاصرة، أنَّ مقاطع الكتاب المقدَّس هي سفن فارغة على المفسِّرين أن يملؤوها بالمعاني. وللتأكد من ذلك، وكما أنَّ للسفينة شكلاً محدَّداً، فإن قواعد نصوص الكتاب المقدَّس وضعت بعض المعايير الأساسية للمعنى. ومع ذلك في نطاق هذه المعايير، فإن مهمة تحديد المعنى المحدّد تقع على عاتق مفسري الكتاب المقدَّس. في المقابل، فقد طُرح للنقاش أنه ينبغي أن نصُبَّ تفسيراتنا في المقاطع، مع بعض الاهتمام أو عدم الاهتمام بالمعنى الأصلي أو الحرفي للنص. لكننا يجب أن نرفض هذا التصوُّر للتعددية التكافؤية، لأنه يجعل سلطة الكتاب المقدَّس لاغية بإعطائه المفسرين البشريين الحق في صبّ أفكارهم الخاصة داخل الأسفار المقدَّسة.

في النهاية الأخرى لهذه السلسلة، وجهة نظر أخرى سوف ندعوها "**الأحادية التكافؤية المبسَّطة**". هذه النظرة تروِّج، على حق، لفكرة أنَّ كل مقطعٍ من مقاطع الكتاب المقدَّس له معنى واحد فقط. لكنها تنكر، وهي على خطأ، أنَّ المعنى الأوحد يمكن أن يكون مركّباً.

فلنأخذ مثلاً ما كتبه **يوحنا في 3 : 16:**

"لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية."

إنَّ أيّ مسيحي وفي ذهنه النظرة الأحادية التكافؤية المبسَّطة، قد يقول لنفسه شيئاً من هذا القبيل "هذه الآية بسيطة جداً، يقول لنا يوحنا في 16:3 إننا يجب أن نؤمن بالمسيح." الآن، هذه الخلاصة صحيحة بقدر ما تبدو ظاهرياً، ولكن الآية تقول أكثر من هذا بكثير. فهي تتكلّم أيضاً بشكل واضح عن محبة الله؛ التجسُّد؛ موت وقيامة المسيح؛ العالم؛ عن العقاب الأبدي والحياة الأبدية. وبهذا، فإن ليوحنا 16:3 معنى واحد فقط، ولكن هذا المعنى يتجاوز أية خلاصة نحن قادرون على صياغتها. عندما نخفق في رؤية أنَّ معاني الكتاب المقدَّس مركبة بحيث تتجاوز دائماً تفسيراتنا، فإننا نتعرّض لخطر جدّي وهو مساواة تفسيرنا للكتاب المقدَّس بالكتاب المقدَّس نفسه، وهكذا يحلّ تفسيرنا مكان سلطة الكتاب المقدَّس نفسه.

في **منتصف هذه السلسلة** توجد "**الأحادية التكافؤية المتعددة الأوجه،**" التي تتوافق مع وجهة نظر الحركة الإصلاحية في أول عهدها. يصف إقرار **الإيمان الويستمنستري** الأحادية التكافؤية المركّبة في **الفصل 1، القسم 9،** حيث يقول:

"عندما يكون ثمة تساؤل حول صحة واكتمال معنى أي جزء من الكتاب المقدَّس (الذي ليس متعدداً، لكن له معنى واحد) فيجب أن نبحث عن معناه في أماكن أخرى تتحدث عنه بوضوح أكبر."

ومن وجهة النظر هذه، فإن لكل مقطعٍ معنى واحد، ولكن هذا المعنى مركَّب ومتعدد الأوجه. من الضروري التشديد على الفكرة البروتستانتية "الأحادية التكافؤية المركّبة" اليوم، لأنها تؤكد على أنَّ الكتاب المقدَّس يقدِّم لنا المعنى الموثوق

بدلاً من انتظار تقديمنا إياه. لكنه يردّنا أيضاً عن النزول بالأسفار المقدَّسة إلى مستوى استخلاصاتنا العقائدية، لأن معنى نصٍّ ما، متشابك مع الأسفار المقدَّسة بكلّيتها.

إنَّ وجهة النظر هذه، أي الأحادية التكافؤية المتعددة الوجوه، تزوّدنا بطريقة لمعالجة معاني بالكتاب المقدَّس، والتي ستمكننا من تعزيز لاهوت حركة الإصلاح في يومنا هذا.

الوضوح

نحن الآن قادرون أن نتكلم عن وجهات النظر البروتستانتية الحديثة حول **وضوح** الكتاب المقدَّس. سوف يساعدنا مرة أخرى أن نسترجع فكرة النقاط الثلاث في سلسلة معيّنة. نواجه في إحدى نهايتيها، النزعة المعاصرة نحو **الغموض المطلق**؛ وفي النهاية الأخرى نجد النزعة المعاصرة نحو **الوضوح المطلق**؛ ولكن في منتصفها نجد العقيدة المصلحة عن وجود **درجات الوضوح**.

ليس من الصعب إيجاد بروتستنتيين اليوم، يتعاملون مع الأسفار المقدَّسة وكأنها تكاد تكون غامضة تماماً أو مخفيَّة عنَّا. وفي روح إعادة التأويل وعلم التفسير الحديث، فهم غالباً ما يعتبرون أنَّ الأسفار المقدَّسة غامضة لأنهم يعتقدون أنَّ الكتاب المقدَّس متناقض ومنهزم ذاتياً، تماماً كما يقيّمون الآداب الأخرى.

هناك دائماً غموض على حواف أو هوامش وحي الكتاب المقدَّس، كما هو الحال مع كل وسائل الاتّصال البشرية الكفؤة، ولكن بالكاد يمكننا القول أنَّ الكتاب المقدَّس غير واضح في كل شيء أو بمجمله. هناك الكثير في الكتاب المقدَّس ممَّا هو واضح. إذا كنَّا نريد الاستمرار بروح الإصلاح اليوم، فيجب أن نرفض هذه الأفكار والمفاهيم المبالغ فيها حول غموض الكتاب المقدَّس.

وفي النهاية الأخرى للسلسلة، يوجد بعض البروتستنتيين الذين يؤمنون بأن كل الكتاب المقدَّس تقريباً واضحٌ جداً بحيث يمكن أن يُفهم بسرعة وبسهولة. في غالب الأحيان، يتمكّن المدافعون عن وجهات النظر هذه من الحفاظ على هذه النظرة البسيطة لوضوح الكتاب المقدَّس بسبب رفضهم القاطع لكل التفسيرات التي لا تصدر عن جماعاتهم المسيحية المحدودة جداً.

إنَّ الادعاء المبالَغ فيه بوضوح الكتاب المقدَّس، شكّل إغراءً كبيراً للعديد من علماء اللاهوت في التقليد البروتستانتي وهم يواجهون شكوك الحياة الحديثة. إننا نريد إبعاد الأسفار المقدَّسة عن مستنقع الشك والاستخفاف في عالمنا الحديث. لكنَّ المبالغة في تبسيط وضوح الكتاب المقدَّس بهذه الطريقة، لا يمثِّل وجهة نظر الإصلاح بالنسبة لوضوح الكتاب المقدَّس.

عند منتصف هذه السلسلة من وجهات النظر حول وضوح الكتاب المقدَّس، يوجد موقعٌ يعترف بدرجات من الوضوح. هذا هو الموقع الذي اعتمدته أقرار **الإيمان الويستمينستري، في الفصل الأول، الجزء 7**، حيث نقرأ هذه الكلمات:

"ليست كل الأشياء في الكتاب المقدَّس سهلة في ذاتها على حدٍّ سواء، ولا واضحة على حدٍّ سواء، ومع ذلك، فتلك الأشياء التي من الضروري معرفتها، والإيمان بها، واتّباعها لأجل الخلاص، مطروحةٌ بوضوح كبير، ومكشوفة في مكان أو آخر من الكتاب المقدَّس، بحيث يتمكّن المتعلمون وغير المتعلِّمين من الوصول إلى فهمها بشكل كافٍ باستعمال الوسائل العادية."

لاحظوا أنَّ إقرار الإيمان الويستمينستري يميّز أنَّ ما هو ضروري للخلاص واضحٌ في مكانٍ أو آخر، ولكنه يعترف بأن ليس كل شيء آخر في الأسفار المقدَّسة هو بنفس الوضوح.
ستتذكرون بأننا ميّزنا في درسٍ سابق بين مستويات الثقة المختلفة التي لدينا بالعقائد المسيحية المختلفة، على شكل **وعاء اليقين.** في قاعدة وعاء اليقين، لدينا المعتقدات التي نتمسَّك بها بشكل رقيق لأن **مستويات ثقتنا بها ضئيلة.** في القمة، لدينا تلك المعتقدات الجوهرية التي نتمسك بها **بشدّة؛** إنَّ التخلِّي عنها هو تخلٍّ عن الإيمان المسيحي. ما بين هاتين النهايتين لدينا **الأشياء الأخرى التي نؤمن بها** بمستويات متفاوتة من الثقة.

من نواحٍ عديدة، يساعدنا على التفكير عن وضوح الكتاب المقدَّس بطريقة مشابهة. في المقام الأول، إنَّ العديد من جوانب تعاليم الكتاب المقدَّس، بما فيها معرفة ما هو مطلوب للخلاص، تتطلّب **القليل او لا تتطلب أيّ جهدٍ علمي لفهمها.** كما أوضح ذلك إقرار الإيمان الويستمنسترري "المتعلّمون وغير المتعلّمين على حدٍّ سواء" بإمكانهم أن يفهموا هذه الأشياء." وتنطبق هذه الحقيقة على معلومات أخرى في الكتاب المقدَّس. مثلاً، ليس صعباً أن نرى أنَّ الله خلق العالم، أو أنه كان هناك رجال مثل إبراهيم، وموسى، وداود، أو أنَّ أمّة إسرائيل ذهبت إلى مصر ولاحقاً إلى المنفى. إنَّ هذه، ونواحي بارزة أخرى لا تُحصى من الأسفار المقدَّسة، واضحة جداً بحيث لا يحتاج أحدٌ إلى بذل الجهد العلمي أو الأكاديمي لمعرفتها.

في المقام الثاني، إنَّ بعض جوانب الكتاب المقدَّس معروفة فقط للطلاّب الجدّيين الذين يتناولون في دراستهم مواضيع مثل التاريخ القديم، النقد النصّي، اللغات في الكتاب المقدَّس، الطرق التفسيرية، وعلم اللاهوت. يمكن أن نضيف إلى هذه الأمور أشياء مثل عقيدة بولس عن علم الأمور الأخيرة، أو الغرض التاريخي من سفر التكوين. ولكن مع بذل جهودٍ أكاديمية كافية، فإن العديد من الأشياء التي تبدو غامضة للوهلة الأولى، تصبح أكثر وضوحاً.

أخيراً، تبقى بعض أجزاء الكتاب المقدَّس غير واضحة مهما بُذِل من جهود علمية في سبيلها. تظهر بعض أكثر الأمثلة وضوحاً على هذه الأبعاد من الكتاب المقدَّس عندما نحاول مواءمة الأجزاء المتوازية من الأسفار المقدَّسة، مثل العهد الجديد. على الرغم من أنَّ خطوات واسعة عظيمة قد اتّخذت في هذه المجالات، إلاَّ أنَّ العديد من المشاكل ما زالت تبدو غير قابلة للحل أو مستعصية.

لذا، عند مقاربتنا للكتاب المقدَّس، يجب أن نتذكر دائماً أنَّ بعض أبعاد الأسفار المقدَّسة أوضح من الأخرى. مع أنَّ كل الكتاب المقدَّس لا نزاع وشك فيه، إلاَّ أننا على مستوى عمليّ نحن قادرون على فهم إرشاده الموثوق بدرجاتٍ متفاوتة، اعتماداً على الوضوح النسبي للأبعاد المختلفة للكتاب المقدَّس.

كما نرى، لكي نمثِّل تقليد البروتستانت في أيامنا هذه، يجب أن نتجنَّب التطرّف المعاصر بالنسبة لوضوح الأسفار المقدَّسة، وأن نؤكِّد على أنَّ وضوح المعنى هو مسألة نسبية.

السلطة الكنسية

ينبغي أن نلتفت إلى دور **السلطة الكنسية في اللاهوت المعاصر**. الأول، سنتأمل كيف ينبغي أن ينظر اللاهوتيون المعاصرون إلى **السلطات الكنسية من الماضي**؛ وثانياً، **السلطات الكنسية** اليوم. دعونا ننظر أولاً إلى **الماضي**.

الماضي

كما رأينا، فهم البروتستانت الأوائل أنَّ الروح القدس قد أعطى الكنيسة حقائق عديدة في الماضي، وقد أرادوا تقديم الاحترام والخضوع اللاّئق إلى تقاليد الكنيسة طويلة الأمد، وذلك بقبولها كأحكام مؤقتة. مع ذلك، وازن البروتستانتيون الأوائل ما بين هذه الممارسة والتأكيد القويّ على تفوّق الأسفار المقدَّسة. لقد أرادوا أن يقيِّموا تعاليم الكنيسة كلها بمعيار الكتاب المقدَّس.

للأسف، غالباً ما يجد اللاهوتيون اليوم صعوبةً في التمسُّك بحزم بالموقفين. من المفيد ملاحظة رأيين متطرّفين: **التقليدية** من طرفٍ، **والتمسك بحرفية الكتاب المقدَّس** من طرفٍ آخر، والممارسة لعقيدة "**الإصلاح دائماً**،" بينهما.

من ناحية، يقع اللاهوتيون المعاصرون غالباً في فخ "التقليدية"، ويشدّدون باتجاه الممارسات الشبيهة جداً بممارسات الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في العصور الوسطى. عدة مرات، تعلَّق التقليديون البروتستانت إلى درجةٍ كبيرة بالسمات الماضية بحيث فشلوا، على مستوى الممارسة، في التدقيق بالماضي بشكلٍ كافٍ.

إذا كان لك احتكاكٌ كبيرٌ باللاهوتيين البروتستانت اليوم، فعلى الأرجح أن تكون قد رأيت هذا الميل. في كثير من الأحيان، يميل هؤلاء اللاهوتيون ذوو النوايا الحسنة إلى إجابة الأسئلة اللاهوتية فقط بسؤالهم "ما الذي يقوله إقرارنا؟" بدل أن يسألوا، "ما لذي يقوله الكتاب المقدَّس؟"

من ناحية أخرى، يذهب علماء لاهوت معاصرون إلى الطرف المعاكس. في نسخة مسيحية لتحديث الاتجاه التنويري، سقطوا في ما يمكن أن ندعوه بـ "التمسك بحرفية الكتاب المقَّدس."

مراراً وتكراراً، يتجاوب اللاهوتيون الذين ينتمون إلى الفرع البروتستانتي في الكنيسة مع التقليدية بقولهم: "ليس مهمّاً ما قالته الكنيسة". إنَّ ما يهمني هو ما يقوله الكتاب المقدَّس." إنَّ هذا النوع من الأقوال يذهب يهمل الحكمة التي منحها روح الله للكنيسة، ويمنح حق الحكم اللاهوتي فقط للفرد أو لمجموعة من الأفراد ممَّن يعملون في مجال اللاهوت.

للاستمرار في روح الإصلاح اليوم، يجب أن نحدّد تأكيدنا لمبدأ "الإصلاح دائماً"، وهو التقييم البروتستانتي الأولي للاهوت الكنيسة من الماضي. يجب أن نجاهد لتأكيد سيادة الأسفار المقدَّسة بدون إهمال أهمية تقليد الإصلاح.

من ناحية، يتطلب مبدأ "الإصلاح دائماً" اليوم، أن نقبل كأحكامٍ مؤقتة، تقاليدنا وإقراراتنا أيضاً. لدينا إقرار الإيمان الويستمنستري، تعليم ويستمنستر الديني الأقصر والأكبر، تعليم هايدلبرغ الديني، إقرار بلجيكا، وقوانين dort. بالإضافة إلى هذه الوثائق، فإن لدينا أعداداً كبيرة من كتابات أقل رسمية لقادة ولاهوتيين من الماضي. ولكن من ناحية أخرى، ينبغي على هذه السلطات من الماضي أن تكون دائماً خاضعة لتعليم الكتاب المقدَّس الذي لا جدل حوله. ولتعزيز روح الإصلاح اليوم، علينا أن نتعلَّم كيفية إعطاء هذا النوع من الثقل للسلطات الكنسية من الماضي، تحت سلطة الكتاب المقدَّس.

الحاضر

بعد أن رأينا كيف ينبغي على اللاهوتيين البروتستانت اليوم أن يفهموا الماضي، ينبغي أن نلتفت الآن إلى كيف ينبغي أن يقيّم اللاهوتيون البروتستانتيون **السلطات الكنسية المعاصرة؟**

لقد رأينا أنَّ البروتستانتيين الأوائل قد أكَّدوا على قيمة علم اللاهوت الذي طوّره قادة معيّنون حسب الأصول في الكنيسة، ولكنهم حاذروا من رفع السلطات والمرجعيات الحيّة في الكنيسة فوق تعاليم الكتاب المقدَّس. للأسف، مرة أخرى، يميلون اللاهوتيون البروتستانتيون إلى الذهاب إلى أقصى حدّ.

من جانب، ينزع اللاهوتيون إلى **الشكوكية**. ومن جانب آخر، يميل الكثيرون نحو **التشدّد**. لكن أسلوب اللاهوت الإصلاحي الأصيل، هو أن يسعى جاهداً ليكون "**أميناً** في **الصياغات** العقائدية المعاصرة."

بدلاً من التشكيك العنيف أو التشدُّد في اللاهوت المعاصر، فإن وجهة النظر هذه تشتمل على رغبة في خلق "صياغات أمينة".

لفهم ما نعنيه، فإنه مّما يساعدنا هو أن نتفحّص ماهيّة تصوّرنا **لصدق النصوص اللاهوتية**. إنَّ التشكيك المتعنّف والتشدّد حول سلطة اللاهوتيين البروتستانتيين المعاصرين يعود سببه جزئياً إلى أنَّ البيانات العقائديّة تُقيَّم على أسس ثنائية بسيطة: **إمّا صحيحة أو خاطئة**. لكن في الواقع، **يساعد أكثر بكثير، التفكير في قيمة صدق** البيانات العقائدية

على أسس مشابهة، على أنها صفٌّ من الاحتمالات على طول سلسلة ما بين الحقيقة والباطل. كل النصوص اللاهوتية تقريباً، هي صادقة أو خاطئة، وهذا يعتمد على مدى نجاحهم في عكس صورة تعاليم الكتاب المقدَّس المعصومة من الخطأ.

على أحد جانبي هذه السلسلة، نجد أنَّ بعض المواقف اللاهوتية تصف تعليم الكتاب المقدَّس بشكل جيد بما فيه الكفاية، بحيث يمكننا أن ندعوها "صحيحة" ونحن مرتاحو الضمير. هذه المواقف ليست كاملة، ولكنها تجعلنا نقبلها على أنها صحيحة. وعلى الجانب الآخر للسلسلة، توجد مواقف لاهوتية أخرى بعيدة جداً عن تعليم الكتاب المقدَّس بحيث يحق لنا أن نعتبرها **خاطئة**.

خذْ على سبيل المثال هذا القول: "**الله ذو سيادة على كل الأشياء**". إنه قريب بما فيه الكفاية لتعاليم الكتاب المقدَّس، بحيث أنه لا ينبغي عادة أن يكون لدينا مشكلة بالقول أنه صحيح بقدر ما يبدو. ومع ذلك، ولأنه يمكن تحسين هذا القول، فهو بشكلٍ ما، غير كامل. مثلاً، إذا كنّا بصدد تمييز إيمان الكتاب المقدَّس عن الإيمان بالله أو الاعتقاد بالقضاء والقدر، فإن هذا القول يمكن أن يعطي بسهولة انطباعاً خاطئاً.

وبشكلٍ مماثل، فإن القول بأن "**يسوع هو الله**". هو قريب بما فيه الكفاية لما جاء في الأسفار المقدَّسة ليكون مقبولاً كقولٍ صحيح. ولكن في سياقاتٍ معيَّنة، ندرك أنَّ مثل هذا القول قد يحجب حقيقة أنَّ الكتب المقدَّسة تخبرنا أيضاً وتعلّمنا عن إنسانية المسيح الكاملة.
لذا، في النهاية، بعض البيانات اللاهوتية تقترب بما يكفي من الكتاب المقدَّس لنعتبرها صادقة. وأخرى تبتعد بما فيه الكفاية عمَّا جاء فيه لنعتبرها خاطئة. لكن كلّ الصياغات اللاهوتية بالإمكان تحسينها بإخضاعها باستمرار إلى الفحص الدقيق في ضوء الأفكار الإضافية من الكتاب المقدَّس. ليس هذا أكثر من الحكمة البروتستانتية القديمة: "**الإصلاح دائماً**". أو كما أحب أن أُترجمها، "**إنَّ الصياغة الاهوتية النهائية ليست أكثر من افتقارٍ للخيال**".

من جهة، لا تساورنا **الشكوك** حول اللاهوت المعاصر؛ ولا نرفض كل إحساس بالسلطة أو حاجة للخضوع إلى ما تقوله الكنيسة اليوم. من جهة أخرى، نحن لسنا **متشدّدين** تماماً؛ ولا نصرُّ على أنَّ الصياغات المعاصرة هي كاملة. بدلاً من ذلك، نحن نستخدم بتواضع وبمسؤولية، **كلَّ المصادر التي أعطانا إياها الله** – تفسير الكتاب المقدَّس، التفاعلات داخل المجتمع المسيحي، والحياة المسيحية – لنطوِّر **صياغات عقائدية أمينة**. ولكن في جميع الحالات، يجب أن يتمّ إخضاع لاهوت الكنيسة دائماً للأسفار المقدَّسة. إنَّ هدفنا هو تقديم صياغات لاهوتية أمينة.

استكشفنا في هذا الدرس العلاقة ما بين سلطة الكتاب المقدَّس والسلطة الكنسية. وقد طالعنا عدداً من وجهات النظر التي نشأت أثناء **فترة العصور الوسطى، الحركة الإصلاحية في ذلك الوقت**، وكيف إننا **بحاجة لتطبيق وجهات نظر** الحركة الإصلاحية على سلطة الكتاب المقدَّس **والسلطة الكنسية** في يومنا هذا.

إنَّ بناء لاهوت مسيحي اليوم يتطلَّب تقييماً متأنياً من السلطتين، الكنسية والكتابية على السواء. بإبقائنا مبادئ هذا الدرس في أذهاننا، سنكون قادرين على بناء اللاهوت الذي سيُشرِّف الكنيسة ويمجِّد الله.